أد. عيسى بن قبي
جامعة المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

السنة الأولى ماستر تاريخ الوطن العربي وحدة: المشرق العربي 1919-1945 –

المحاضرة الرابعة: الانتداب البريطاني في الأردن

منطقة الأردن في الأصل؛ أي قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى، كانت جزء من الدولة العثمانية، وكان المقصود بها؛ أي بتسمية الأردن المناطق الواقع شرق نهر الأردن، وعقب الثورة العربية وانجلاء الحكم العثماني عنها، أصبحت تابعة إداريا لحكومة فيصل العربية بدمشق ؛أي ابتداء من سنة 1918[1]

أوضاع الأردن بعد مؤتمر سان ريمون:

لقد تم تداول مستقبل منطقة شرق الأردن في مؤتمر سان ريمو، وخلص المؤتمرون إلى وضعها تحت سلطة الانتداب البريطاني كجزء من دائرة الوصاية على فلسطين، على أن تتولى الدولة المنتدبة رسم الحدود بين الشطر الغربي؛ أي فلسطين والشطر الشرقي من الأردن[2]. ولكن عكس ما أقدمت عليه فرنسا، التي بادرت إلى تجسيد مقررات سان ريمو مباشرة بعد صدورها، حيث عمدت إلى فرض هيمنتها على سوريا ولبنان، وإقرار الانتداب عليهما، مستعملة في ذلك القوة العسكرية، مما ترتب عليها صدامات عنيف مع السكان هناك، وخسائر فاده في صفوف الطرفين.[3]

فقد تريثت بريطانيا في تنفيذ قرارات مؤتمر سان ريمون، الذي اقر انتدابها على العراق والأردن وفلسطين، رغم تواجها العسكري هناك منذ الحرب العالمية الأولى، ومساهمتها في الثورة العربية. ففي البداية تجنبت إبقاء قواتها بالمناطق الداخلية للأردن حتى لا تثير السكان، ولا تتكبد خسائر- كتلك التي حلت بالقوات الفرنسية بقيادة "غورو" - مما أدى إلى حدوث فراغ سياسي وامني بالمنطقة، ومن اجل تدارك الوضع، وبدل أن تقوم بالزج بقواتها لجأ مندوبها السامي في شرق الأردن (فلسطين)، وهو صموئيل هربرت إلى دعوة شيوخ القبائل النافذة هناك لعقد اجتماع بهدف نظر في مستقبل البلاد [4]، وتم ذلك يوم السبت 21 أوت 1921بمنطقة السلط ،أين ألقى عليهم خطابا حاول من خلاله كسب تأييدهم، وسعى لإقناعهم بان الوجود البريطاني بالمنطقة ليس احتلال، بل هدفه مساعدة أهل البلاد وتمكينهم لاحقا من حكم أنفسهم بنفسهم.

وعقب ذلك تم تشكيل 6 حكومات تحت رئاسة شخصيات قبلية محلية، لكن تحت اشراف ضباط بريطانيين (دير يوسف، عجلون، الوسطية، الرمثا، جرش،الكرك)عمان واستمرت هذه التجربة الى غاية 11 نيسان 1921 كما شكل الانجليز بالموازاة شرطة محلية بعمان وسرعان ما تحولت إلى جيش لحفظ الأمن المحلي. [5]

لم تكن هذه الخطوة سوى إجراء مؤقتا من طرف بريطانيا، قبل أن تدرس الوضع بدقة وتتخذ القرار النهائي بشأنها وفقا لمصالحها. كما أن هذه التجربة لم تنتج سوى حكومات ضعيفة تخضع لأوامر الضباط الانجليز وعجزت عن تحقيق الأمن والاستقرار للسكان، بل ان هذه التجربة كرست النمط القبلي للأردن (ساهمت في تجسيد سياسة فرق تسد)

قدوم الأمير عبد الله بن الحسين إلى الأردن: في هذه الظروف بالذات، وبعد قيام فرنسا بالاستيلاء عسكريا على سوريا، وطرد الأمير فيصل منها، وبالتالي قضت على إمارته رسميا هناك، انتقل الأمير عبد الله على رأس قوة من القبائل المساندة لوالده من الحجاز باتجاه الشمال، حيث وصل إلى منطقة معان في 21 نوفمبر 1920 بهدف الثار لأخيه من الفرنسيين، واسترجاع إمارته، حيث بمجرد وصوله بعث لأهل سوريا في 5 ديسمبر 1920 بمنشور يهاجم فيه الفرنسيين، ويدعو السوريين للالتفاف حوله من اجل إعلان الجهاد وتحرير البلاد السورية ، ومما شجعه على ذلك هو الترحيب الذي لاقاه من السكان هناك،.غير أن ردود الفعل وتجاوب سكان سوريا مع نداءات الأمير عبد الله لم تكن في مستوى تطلعاته، و

ذلك بسبب حالت التشتت والضعف الذي لحق بالمنطقة، عقب الهجوم الفرنسي عليها. ورغم ذلك فقد استمر في استعداداته، وفي المقابل قامت سلطات الاحتلال الفرنسي بتعزيز وجودها العسكري على الحدود السورية الأردنية، وبالموازاة مع ذلك احتجت لدى السلطات البريطانية، طالبة منها تقييد حركة الأمير عبد الله، ومنعه من القيام بأي عمل ضد قواتها، بصفتها المسؤولة عن امن المنطقة هناك، وفقا لاتفاقية سايكي بيكو و لقرارات مؤتمر سان ريمون.

مؤتمر القاهرة وتشكيل إمارة الأردن: إن الإجراءات التي أقدمت عليها بريطانيا في شرق الأردن لم تكن سوى عملا مؤقتا ، حيث وبدأت تفكر في إيجاد صيغة للوضع النهائي للانتداب بالمشرق، و تبعا لذلك أقدمت في 31 فيفري 1921 على إنشاء دائرة الشرق الأوسط، واتبعتها بوزارة المستعمرات بهدف الإشراف على إدارة البلاد الواقعة تحت الانتداب البريطاني في المشرق العربي، وإيجاد صيغة نهائية لتسيير المنطقة تمكن بريطانيا من تحقيق هيمنتها، والحفاظ على مصالحه الاستعمارية بأقل تكلفة مالية وبشرية ، وتبعا لذلك عقد مؤتمرا بالقاهرة لهذا الغرض من 12 إلى 24 مارس 1921 جمع كبار الساسة البريطانيين، وعلى رأسهم ونسون تشرشل ممثلا عن وزارة المستعمرات، إلى جانب الكولونيل لورانس والمندوب السامي في فلسطين صموئيل هربرت والمندوب السامي في العراق بيرسي كوكس. [6]

وطرحت عدة اختيارات لتحديد مستقبل الأردن، وتم الاتفاق في النهاية على إعفائه من وعد بلفور، و تحويله إلى مملكة واستدعاء لهذا الغرض الأمير عبد الله بن الحسين، على أن تكون السلطة تحت إشراف المندوب السامي البريطاني. ويقول لورنس عن سبب اختيار عبدالله بن الحسين على الأردن : **" يصلح وكيلا مثاليا لبريطانيا في المنطقة، لأنه شخص لا يتمتع بسلطة كبيرة، وليس من أهل شرق الأردن، ولكنه يعتمد على حكومة بريطانيا في الاحتفاظ بمنصبه "**

اتفاقية القدس: تبعا للقرارات الصادرة عن مؤتمر القاهرة، تم استدعاء الأمير عبد الله إلى القدس عن طريق والده، أين عقد مباحثات مع ممثل وزارة المستعمرات تشرشل بقصر لطور في القدس يوم 1921/3/27، بحضور تشرشل و عبدالله بن الحسين وهربرت صموئيل (المندوب البريطاني على فلسطين) و روبير دوكه (وكيل المندوب الفرنسي على سوريا) و تم الاعتراف بعبد الله بن الحسين أميرا هاشميا على الأردن. و خلص الاجتماع إلى إقناع الأمير عبد الله بالتخلي عن مشروعه الرامي إلى مجابهة الجيش الفرنسي وطرده من سوريا واسترجاع ملك أخيه فيصل، وبدلا من ذلك يتم ترشيح هذا الأخير لإمارة العراق. وفي المقابل إتباع سياسة سلمية اتجاه فرنسا.[7]

وتبعا لذلك تم عقد اتفاق شفهي بين الطرفين نص على ما يلي:

1- تؤسس حكومة عربية وطنية في شرق الأردن برئاسة الأمير عبد الله. 2. تكون الحكومة مستقلة استقلالاً إدارياً تاماً. 3. تقدّم بريطانيا مساعدات مالية لسد نفقات القوة العسكرية التي تعمل على توطيد الأمن. 4. تسترشد الحكومة الأردنية برأي مندوب بريطاني يقيم في عمان يتعهد الأمير عبد الله بالمحافظة على حدود فلسطين وسورية من كل اعتداء . 5. يحق لبريطانيا إنشاء قاعدتين للطيران في عمّان والجيزة. 6. تتوسط بريطانيا لتحسين العلاقة بين الأمير عبد الله و السلطات الفرنسية في سورية .[8]

واتفق على أن يكون هذا الاتفاق بمثابة تجربة لمدة ستة أشهر. * 30 مارس 1921م، حيث وصف تشرشل عبد الله بعد الاتفاق بأن وضعه غير رسمي، ومع ذلك أصر على مساعدته كي ينجح في هذه التجربة، حيث خصص له مبلغ خمسة آلاف من الجنيهات الإسترلينية كمعاش شهري.[9]

عاد الأمير عبد الله إثر هذا الاتفاق إلى عمّان، وأخذ بوضع الخطط الكفيلة بتنظيم شرقي الأردن وفي 11 ابريل 1921م، شرع في بناء الإدارة المركزية الأولى بأن عهد إلى رشيد طليع بمهمة بناء جهاز إداري منظم، واستطاع هذا الأخير تأليف الحكومة الأولى في تاريخ شرق الأردن، وكان معظم أعضائها من قادة حزب الاستقلال الذين فروا من سوريا بعد سقوطها في يد الفرنسيين.

وفي 6 يوليو 1921م، أعلن عن مشروع الانتداب البريطاني على فلسطين من قبل عصبة الأمم المتحدة.وعقب ذلك أي في 16 يوليو 1921م، انتقل الأمير عبد الله بن الحسين إلى لندن أين أجرى مفاوضات مع مندوب الحكومة البريطانية جلبرت كلايتون، حيث سعى الأمير إلى توقيع اتفاق مع الحكومة البريطانية يؤمن اعترافاً دولياً بوجود حكومة في المنطقة

الأردنية. ومن أجل هذا الهدف طرح الأمير في المفاوضات أن تكون إمارة شرق الأردن دولة مستقلة استقلالاً تاماً، مع إيجاد صيغة علاقة جديدة تربط شرق الأردن ببريطانيا. ثم حاول مرة أخرى تعديل هذا الطرح وطلب أن توافق بريطانيا على تأسيس دولة عربية واحدة في كل من فلسطين وشرق الأردن وسوريا ولبنان، وأن تكون هذه الدولة تحت الانتداب البريطاني الفرنسي المشترك، غير أن بريطانيا لم توافق على هذا المشروع، وفي 24 أوت 1922م، أقر مجلس عصبة الأمم ،صك الانتداب البريطاني على فلسطين وشرقي الأردن، واستثناء شرقي الأردن من أحكام وعد بلفور بطلب من بريطانيا، وإثر ذلك رسمت حدود شرقي الأردن .. [10]

اعتبر الأمير أن ما حققه لم يكن سوى خطوة أولى لتثبيت أقدامه بالمنطقة ، إذ كان يرغب ومن ورائه الشعب الأردني في إزالة الانتداب كليا، وتحقيق الاستقلال التام للبلاد، ورغم سعيه في هذا المجال، وحرصه من اجل تحسين وضعه تجاه السلطات البريطانية، وانتقاله لاحقا إلى لندن في سبتمبر سنة 1922 ،غير انه تلقى هناك وعودا شفهية، ولم يتم الاعتراف باستقلال الأردن كما كان يرغب، ورجع إلى بلاده دون تحقيق مبتغاه. غير أن حكومة لندن وسعيا منها للمحافظة على استقرار المنطقة، فقد أصدرت لاحقا إعلانا رسميا في 25 ماي 1923 من قبل مندوبها السامي في فلسطين وهربرت نيابة عنها ، تم الاعتراف من خلاله بقيام إمارة الأردن بشكل رسمي (اعتراف داخلي فقط) واستثناء المنطقة من وعد بلفور .كما أقرت سابقا هذا في صك الانتداب الذي حصلت عليه من عصبة الأمم[11]

معاهدة 1928: استمر الوضع على حاله الى غاية 1928 حين اطمأنت بريطانيا لحكمه، خاصة وأن الأمير عبد الله والتزم بكل تعهداته تجاه سلطة الانتداب، وفي نفس الوقت واصل مطالبته بتحقيق الاستقلال التام للإمارة وإلغاء الانتداب، وكان ذلك مطلبا شعبيا أيضا، وتبعا لذلك وحتى لا تتفاقم الأمور، أ[12]قدمت السلطات البريطانية على تخفيف القيود المفروضة على المملكة الناشئة دون إلغاء الانتداب عليها، وذلك من خلال إبرام معاهدة جديدة في 20 فيفري 1928م بالقدس وأهم ما تضمنته : وضع قانون أساسي للبلاد (الدستور)، وتنازُل حكومة الانتداب للأمير عبد الله عن السُّلطتين التشريعية والتنفيذية، ويبقى لحكومة بريطانيا حقُّ الاحتفاظ بقوات مسلَّحة في شرق الأردن، وتقَدِّم بريطانيا معونة مالية للأردن سنويًّامع توليها الإشراف على امتيازات استثمار الموارد الطبيعية وإنشاء سكة حديدية[13]

وقد كان لهذه المعاهدة جوانب ايجابية وأخرى سلبية فأهم الايجابيات:

- منحت أمير شرق الأردن سلطتي التشريع والإدارة عن طريق الحكومة الدستورية.
- نصت على انجاز قانون أساسي لشرق الأردن أي دستور وهو الأول من نوعه في الأردن.
- تعهدت بريطانيا بتقديم معونة مالية لشرق الأردن
- ومن سلبيات المعاهدة:
- خضوع جميع القوانين والأنظمة لموافقة بريطانيا.
- خضوع ميزانية شرق الأردن لرقابة بريطانيا.
- احتفاظ بريطانيا بالقوات المسلحة لها في شرق الأردن.
- أن تكون بريطانيا مسؤولة عن الصلات الخارجية لشرق الأردن[14]

ردود الفعل الوطنية: اختلف واقع الحركة الوطنية في الأردن عن كل من الحركة الوطنية في سوريا ولبنان وذلك لأسباب متعددة منها:

1. طبيعة الاحتلال وسياسته الذكية
2. طبيعة الشعب الأردني القبلية
3. ظروف تكوين إمارة الأردن مما أخر الشعور الوطني

والشيء المميز في الحركة، أنها غالبا ما تجد نفسها في مواجهة السلطة المحلية بدل سلطة الانتداب، ذلك أن السلطات البريطانية كانت تختفي وراء حكومة الأمير عبد الله.

وعموما فان الوعي السياسي بين الأردنيين كان بطيئا ومتأخرا للأسباب السالفة الذكر، وأول حزب ظهر للوجود هو حزب الاستقلال، والذي ظهر أصلا بسوريا وبعد الغزو الفرنسي وانتقلت قيادته الى الأردن عام 1921 باعتباره جزء من سوريا الكبرى الموحدة.غير أن نشاطه لم يعمر طويلا ، حيث تم حضره سنة 1924 بسبب محاولة اغتيال القائد الفرنسي في سوريا غورو، واتهام أعضاء الحزب باستضافة الثوار الذين فروا من سوريا.

أما أول حزب أردني فعلي فهو حزب الشعب ،الذي تأسس في مارس 1927 وكان ذو طابع إصلاحي، سعى إلى العمل على تحسين ظروف عيش الأردنيين بالطرق السلمية،

ولعل أهم عمل قامت به الحركة الوطنية في الأردن، والذي أخذ طابعا وطنيا، تمثل في عقد المؤتمر الوطني الأردني الأول في مقهى بعمان في 1928/07/25 ،وشارك في نشاطه حوالي 150 مندوبا ،مثلوا مختلف مناطق البلاد، إضافة إلى عناصر حزب الشعب الذي انصهر داخل هذا التنظيم الجديد، ولقد اعتبرت معاهدة 1928 السبب الرئيس في تأسيسه، حيث عبر الأردنيون من خلاله عن رفضهم لممضون هذه المعاهدة التي لم تكن في مستوى تطلعاتهم ،حيث تضمنت العديد من البنود التي تمس بالسيادة الوطنية ولم تحقق لهم الاستقلال التام كما كانوا يرغبون.

وقد صدر عن هذا المؤتمر جملة من المطالب التي مثلت أرضية للحركة الوطنية في الأردن وصدر عنه الميثاق الوطني الأول الذي رفض أغلب بنود هذه المعاهدة، ورفض وعد بلفور بإيجاد وطن قومي لليهود في فلسطين[15].

وقابل رئيس المؤتمر حسين الطراونة المعتمد البريطاني وقد اليه مذكرة جوابية على الحديث الذي جرى بينهما – وذكر البعض أنها ارسلت عن طريق الأمير عبد الله- وعلى الرسالة التي بعث بها المعتمد البريطاني إلى الأمير عبد الله و تناولت هذه المذكرة النقاط التالية

1- اعتبار أعضاء المؤتمر الوطني الأردني ممثلي الأم الحقيقيين في غائبها
2- رفض الانتداب البريطاني على البلاد .
3- المطالبة بالفصل بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية.
4- المطالبة بجعل الحكومة مسؤولة أمام المجلس التشريعي الذي تنتخبه الأمة
5- التخلص من الموظفين البريطانيين في الإدارة وإعطاء أبناء البلاد حقوقهم فيها.
6- التخفيف من نفقات دار الاعتماد وقوة الحدود ورواتب الموظفين المعارين والجيش لإنقاذ البلاد من الوضع المالي السيئ.[16]

لقد استمرت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني في عقد مؤتمراتها السنوية، متمسكة بمطالبها الإصلاحية، مستندة في ذلك إلى الدعم الشعبي الأردني الذي تناما وعيه السياسي وشعوره الوطني، ففي يونيو 1933 تم عقد المؤتمر الخامس للجنة، حيث تم التأكيد فيه على رفض الهيمنة البريطانية ،والوقوف في وجه الخطر الصهيوني المتنامي بفلسطين.

أمام تنامي الرغبة لدى عامة الشعب الأردني في تغيير الواقع السياسي للبلاد، لم يجد الملك عبد الله بدا من الاصطفاف إلى جانبه وتبني مطالبه، وهذا ما دفعه إلى الانتقال إلى انجلترا في 03 يونيو 1934 لزيارة الحكومة البريطانية و السعي لتعديل معاهدة 1928 .

لقد أدركت بريطانيا خطورة الموقف في الأردن بعد تنامي المعارضة الشعبية لسلطة الانتداب هناك مما دفعها إلى الاستجابة للمطالب التي رفعها الملك أثناء زيارته للندن، ولكن بشكلي جزء حيث أدخلت تعديلا طفيفا من خلال السماح للأمير بتعيين ممثلين قنصليين بالخارج له .[17]

الأردن أثاء الحرب العالمية الثانية:

بمجرد اندلاع الحرب العالمية الثانية، لم يتوانى حكام الأردن في الكف عن موقفهم الداعم للحلفاء من خلال توفير كل التسهيلات على ارض بلادهم للجنود الانجليز وباقي حلفائهم. وكان مثل هذا الموقف أمرا بديهيا إن لم نقل شكليا، ذلك أن القوات البريطانية أصلا كانت مرابطة بالأردن، كما أن القوات الأردنية رغم محدوديتها، والتي شكلت سابقا برعاية بريطانيا وتحت قيادة ضباطها، وعلى رأسهم قلوب (الذي استمر على راس هذه القوات إلى غاية سنة 1956) غير أن

الأمير عبد الله أراد استغلال موقفه الداعم للحلفاء من أجل تحقيق حلمه المتمثل في ضم سوريا، وتكوين مملكة عربية موحدة تحت قيادته، وقدم مذكرة في هذا الشأن إلى بريطانيا غير أن هذه الأخيرة استبعدت الفكرة، وعوضتها بمشروع الجامعة العربية . إلى جانب هذا فقد سعى الأمير عبد الله إلى الحصول على الاستقلال التام للأردن، و تبادل مذكرات في هذا الشأن مع السلطات البريطانية. فيما بين 1943/1942، غير أن هذه الأخيرة تريثت في إعطاء رد حاسم مكتفية بتقديم وعد عام كعادتها تاركة الأمر إلى ما بعد الحرب .[18]

استقلال الأردن: مع نهاية الحرب العالمية الأولى ترسخت لدى بريطانيا القناعة بولاء الأمير عبد الله لها و التزامه بتعهداته اتجاهها ، فقررت الاستجابة لمطالبه المتمثلة في منح الاستقلال التام للأردن وهو ما تم بالفعل حين وقعت معه معاهدة في 25 مارس 1946 اعترفت من خلالها رسميا بشرق الأردن دولة مستقلة ووافقت على تبادل التمثيل الدبلوماسي ، كما التزمت بالاستمرار في تقديم المساعدات المالية ، والدفاع عن الإمارة ضد أي عدوان أجنبي ، وفي المقابل حصلت بريطانيا على حق السماح لقواتها بالمرابطة في شرق الأردن مع تقديم التسهيلات اللازمة لها. وفي 25 أفريل 194 تلقب الأمير عبد الله بلقب الملك.[19]

أن ما أقدمت عليه بريطانيا في الأردن ينسجم كليا مع سياستها الاستعمارية فهي لا تتمسك في مستعمراتها بالهيمنة السياسية المباشرة بل تكتفي بالمحافظة على مصالحها الاقتصادية ونفوذها السياسي و هو ما ضمنت بالفعل في الأردن فوافقت على منحه الاستقلال.

---

[1] - رأفت الشيخ التاريخ المعاصر للأمة العربية الاسلامية ص80

[2] - المشرق والمغرب ص 111

[3] - رأفت الشيخ التاريخ المعاصر للأمة العربية الاسلامية ص ص 81

[4] - الشرق العربي المعاصر ص 320

[5] - تاريخ الأردن المعاصر ص 19/18

[6] - تارريخ الأردن، ص20-21

[7] - الملك عبد الله بن الحسين ، مذكرات ص 165

[8] - أمين سعيد الثورة العربية الكبرى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ج3،ص18.

[9] - ماري ولسن، عبد الله وشرق الأردن بين بريطانيا والحركة الصهيونية، ترجمة فضل الجراح، شركة القدس للنشر والتوزيع، القاهرة 2000،ط1،ص107

[10] - تاريخ امارة الأردن، ص ص25

[11] - الشرق العربي المعاصر 323

[12]

[13] - الشرق العربي المعاصر ، ص 324

[14] - نظال البزل، أطلس مدن الأردن، دار عالم الثقافة للنشر، الأردن ،ص20

[15] - محمد عبد الله الخوالدة، ريم تيسير الزعبي، التربية الوطنية(المواطنة والانتماء) ، دار الخليج للنشر والتوزيع عمان 201،ط2،ص107.

[16] امارة الأردن، ص78

[17] - الشرق العربي ص325

[18] - تاريخ العالم الاسلامي 178

[19] - الشرق العربي المعاصر ص 328.